المحاضرة الرابعة ---------- **الحجاج: في الدرس الغربي الحديث**

توطئة/

لعلّ أهمّ ما تنولت به نظرية الحجاج في الدرس الغربي الحديث من جانبين: جانب بلاغي يمثله الباحث التشكي شايم بيرلمان (Chaim perelman)، وجانب لغوي تداولي يمثله الفرنسي أزفالد ديكرو (O.Ducrot)، هذان الباحثان هما أساس النظرية الحجاجية الغربية الحديثة، وإن كانا لا يمثلان نظرة حجاجية واحدة، وهما اللذان ورثا تاريخا إغريقيا واحدا (النظرية الحجاجية الأرسطية)، ولا نستبعد أنهما استفادا من تراجم الأعمال الحجاجية للحضارة الإسلامية (نظرية البيان العربي).

إن النظرية الحجاجية في الدرس الغربي كان لها الأثر الكبير في جميع المجالات (السياسية، والقانونية، والفلسفية، والبلاغية، واللغوية ...)، غير أنّ أهم جهتين تنولت بهما هذه النظرية، هما جهتا: البلاغية والتداولية، وسنحاول من خلال هذا الدرس عرض: **نظرية البلاغة الجديدة أو نظرية الأرسطيين الجدد**، للتشيكي شايم بيرلمان (Chaim perelman) وزميلته البلجيكية تيتيكا (Lucie olbrechts- Tyteca)، من خلال كتابهما (مصنف في الحجاج: البلاغة الجديدة)، **نظرية الحجاج اللغوي أو نظرية التداولية المدمجة**، للفرنسيين أزفالد ديكرو (O.Ducrot) و أنسكومبر (J.C- Anscombre)، ومع هاتين النظريتين سنتناول أيضا **نظرية المساءلة أو نظرية الحجاج الخطابي**، لميشيل مايير (Michel mayer) وروث أموشي (Ruth amossy).

أولا. **نظرية البلاغة الجديدة** (نظرية الأرسطيين الجدد):

حمل هذه النظرية كتاب (مصنف في الحجاج: البلاغة الجديدة) لمؤلفيْه شايم بيرلمان وزميلته تيتيكا، وهو كتاب أُلّف عام 1958، وجمع المؤلفان فيه خلاصة بحوثهما ومقالاتهما، وأعيد طبع هذا الكتاب عديد المرات[1]، وقد حمل هذا المصنفُ التراثَ الإغريقي المُمَثَّل في الحجاج الأرسطي، والتجديدَ البلاغي وفق منظور مغاير تحكمه معان جديدة؛ تتمثل في الحرية، واحترام إنسانية المخاطب أو المتلقي، والقصد، والمقام.

مدارُ ما يرمي إليه صاحبا هذه النظرية البلاغية الجديدة هو تخليص الحجاج من القطبية التقليدية في عصر أرسطو (العصر اليوناني)، والمتمثلة في الخطابة والجدل؛ من جهة أنّ الخطابة التي تعمل على إثارة الانفعالات كانت مناطَ اتهام بالمناورة والمغالطة والتلاعب بمشاعر الجمهور وبعقله أيضا، وكانت الخطابة بذلك سببًا في دفع الجمهور دفعا إلى

(1)

القبول باعتباطية الأحكام ولا معقوليتها، ومن جهة الثانية أنّ الجدل الذي يتصف بصرامة الاستدلال كان سببًا في جعل المتلقي أو المخاطب به في وضع ضرورة وخضوع واستيلاب، وعليه كان الحجاج عند بيرلمان وتيتيكا سبيلا ثالثا غير هاته القطبية،؛ فقد كانا ينشدان من خلال نظريتهما المعقولية والحرية، والحوار المفضي إلى وفاق بين الأطراف المتحاورة، وذلك من أجل التسليم برأي آخر بعيدا عن الاعتباطية واللامعقولية اللذين يطبعان الخطابة عادةً، وبعيدا عن الإلزام والاضطرار الإكراهي الذي يطبع الجدل عادةً، فالحجاج عندهما معقولية وحرية وحوار بعيد كلّ البعد عن العنف بجميع مظاهره[1] .

وقد ركّز ليبرمان وتيتيكا على محاولة إعادة البلاغة إلى أصلها، « حيث كانت البلاغة حجاجيةً، وحيث كانت المزينات الجمالية مجرد روافد لغوية ودعامات تسعى إلى بعث الإقناع والفعل، لا إلى الاستمتاع الجمالي غير العابئ بالتأثير وتعديل الرأي والسلوك »[2]، وبذلك أعطى المؤلفان للبلاغة بعدها التداولي المضطلع بالتواصل المفضي إلى إقناع، وفي هذا تخليص للحجاج اليوناني القديم من ربقة الاستدلال المنطقي البحت، وجعل البلاغة وسيلة حجاجية بأبعاد تداولية تتعامل مع مجالات استخدام اللغة في مثل: العلوم الإنسانية والقانون والفلسفة.

يعرّف المؤلفان الحجاج بأنّه: « جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة حمل المتلقي على الاقتناع بما يعرض عليه أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع »[3]، والغاية الأساسية من الحجاج هي: « الفعل في المتلقي على نحوٍ يدفعه إلى العمل أو يهيئه إلى القيام بالعمل »[4].

لقد وسّعت البلاغة الجديدة عند بيرلمان جمهور المتلقين للخطاب الحجاجي عمّا كان متوارثا عن أرسطو (التشاورية. القضائية. الاحتفالية)، فأصبحت « تتوجّه لكل أنواع المتلقين، بل وتتعلّق بالحالة الخاصة التي يتشاور فيها الإنسان مع نفسه، ولا يكون الحجاج دقيقا أبدا، وفقا لبيرلمان، إلا إذا توجّه إلى (متلقٍّ عام) »[5]، وهذا التوجه يتناسب تماما مع فلسفة أصحاب البلاغة الجديدة، التي تدعو إلى الحرية، وتثمين قيمة إنسانية الإنسان. و بحسب نوع الجمهور قسّم المؤلفان الحجاج قسمين هما: « الحجاج الإقناعي L'argumentation persuasive وهو يرمي إلى إقناع الجمهور الخاص L'auditoire particulier والحجاج الاقتناعي L'argumentation convaincant وهو حجاج يرمي إلى أن يسلّم به كلّ ذي عقل، فهو عام ... »[6].

---

(1)

(2)

(3)

(4)

(5)

(6)

وقد حاول كل من شـايم بيرلمان Perelman وتيتكا Tyteca وضـع الخصـائص المميزة للحجاج التي تفرقها عن غيرها من الخطابات، وقد لخصاها في خمسة مميزات رئيسة: « ...

1. يتوجّه إلى مستمع.
2. يعبّر عنه بلغة طبيعية.
3. مسلّماته لا تعدو أن تكون احتمالية.
4. لا يفتقر تقدّمه (تناميه) إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.

ليست نتائجه (خلاصاته) ملزمة. »[1].

ومن أهم المباحث التي عمل المؤلفان على ضبطها مبحث مقدّمات الحجاج ومنطلقاته، والتي تؤخذ على أنّها مسلّمات يقبل بها الجمهور، ومنها ينطلق الخطيب في الاسـتدلال، وقد حصـرا تلك المسـلّمات المقدّمية في الوقائع، والحقائق، والافتراضات، والقيم، وهرمية القيم، والمعاني أو المواضع[2] :

أ. **الوقائع** Les faits : وهي ما تمثله من مشـتركات بين عدة أشـخاص أو بين الناس جميعا، ولا سـبيل للمخاطب لدفعها لسـابق علمه بوقوعها، وهي تشـكل نقطة انطلاق الحجاج بين المتخاطبيْن، وتنقسـم الوقائع إلى: وقائع مشـاهدة، ووقائع مفترضـة؛ أي وقائع حصـلت فعلا، ووقائع محتملة الوقوع، وشـرط هذين النوعين حتى يكونا صالحين لمقدمات الحجاج مطابقتهما لبنى الواقع، وإلّا فَقَدَا القيمة الحجاجية التي بمقتضاها يسلّم الجمهور.

ب. **الحقائق** Les réalités : وهي أنظمة أشـد تعقيدا من الوقائع، وتقوم على الربط بين الوقائع، ومدارها النظريات العلمية والمفاهيم الفلسـفية والدينية، وذلك كأن يكون الانطلاق من التيقّن من الواقعة (أ) إلى النظرية (س) لإنشـاء التيقّن (ب)، ومثالها: الانطلاق من الواقعة (أ) التي رواها أرسـطو (شخصـان طلبا حرسـا خاصـا، وحين الحصول الحراس تحوّلا إلى طاغيتين)، ثم ننتقل إلى النظرية (س): (كلّ رائغ إلى الطغيان يطلب حرسا خاصا)، للوصـول إلى القضـية (ب): وهو الرأي الذي يريد الخطيب حمل السـامعين على التصـديق به، كأن يكون (فلان) طاغية لأنه طلب حرسا خاصا.

ت. **الافتراضـات** Les présomptions: يجب أن تتوفّر الافتراضـات على شـرط مقبوليتها الإذعانية من قِبَلِ الجمهور المتلقي، ولا تكون الافتراضـات قويةً في حدّة التسـليم بها إلا إذا تضـافرت معها عناصـر أخرى تقوّيها في مسـارها الحجاجي، وتُحدّد الافتراضـات بالقياس إلى العادي أو المحتمل، ويتغيّر العادي والمحتمل بتغيّر الحالات؛ ومثالها: السـرعة العادية في الحالة الطبيعية هي التي تجاوز الحد الأدنى بالقياس العادي (افتراضـا)، أمّا العادي بالنسـبة لسـائقٍ دهس مترجلا يكون السير فوق المعدل الأقصى الذي للسـرعة، ويتغير العادي بتغير الجماعات البشـرية في أي مجال من المجالات.

---

(1)
(2)

ث. **القيم** Les valeurs: على القيم مدار الحجاج بكل ضروبه، وتتجلى هذه القيم أكثر في المجالات الإنسانية (القانونية، السياسية، الفلسفة ...)، منها في المجالات الاستدلالية ذات البعد العلمي، وتكتسي القيم طابعا إجماعيا بين المتخاطبين، الشيء الذي يرفعها في كثير من الأحايين إلى درجة المسلّمات التي تصلح بأن تكون مقدمات حجاجية في مجال التخاطب، وتنقسم القيم إلى نوعين: مجردة (العدل، الحق، الأمانة ...)، ومحسوسة (الوطن –الجزائر مثلا-، المسجد ...).

ج. **الهرميات** Les hiérarchies: القيم ليست مطلقة، فهي درجات وتراتبيات، وقد ينطلق الخطيب من تراتبية تلك القيم لا من القيم ذاتها، على اعتبار أنّ المسلمات لا تنحصر في القيمة في حدّ ذاتها، بل في رتبتها بالنسبة إلى غيرها من القيم، وتنقسم الهرميات بدورها إلى نوعين: هرميات مجردة مثل تقديم العدل على النافع، وهرميات محسوسة مثل تقديم الإنسان على الحيوان ...الخ.

ح. **المعاني أو المواضع** Les lieux: قد يستخدم الخطيب ما هو أعمّ من القيم وهرميتها، قصد زيادة الإذعان والتسليم في الانطلاقة الأولى لمسار الحجاج، وهي المعاني أو المواضع؛ و« ...هي عند شيشرون Cicéron في كتاب (المواضع) عبارة عن مخازن للحجج أو مستودعات الحجج .Magasins des argument ومن هنا ربما جاءت كلمة (مواضع) »[1]. وتنقسم المواضع إلى: مشتركة أو عامة يمكن تطبيقها على علوم مختلفة مثل الأقل/ الأكثر، ومواضع خاصة تكون وقفا على علم بعينه أو نوع خطابي بعينه، أفضلية الثابت والباقي بالنسبة للكلاسيكية، وأفضلية الأقل والمتغير والزائل بالنسبة للرومانسية. كما يعرض المؤلفان المواضع في أنواع: الكم (الكل أفضل من الجزء: يد الله مع الجماعة مثلا)، والكيف (مثل الحق غير مرتبط بالكم)، وأنواع أخرى مطلقة.

♦ التقنيات الحجاجية عند بيرلمان وتيتيكا:

إنّ الوسائل الحجاجية التي يتوصل بها الخطاب إلى الإقناع والإذعان لا تخرج عن ثلاثة: **وسائل لغوية، ووسائل منطقية، ووسائل بلاغية**، ويحصرها بيرلمان وتيتيكا في تقنيتين أو طريقتين هما: « الفصل Dissociation والوصل Liaison الحجاجيين (لا النحويين طبعا) وهو ما عقد له المؤلفان قسما بحاله هو القسم الثالث، وهو أهم أقسام الكتاب »[2].

أ. **طرائق الوصل أو الاتصال** Procédés de liaison:

وهي طرائق جامعة لما يظهر تباينها في البنية الواقعية، وهي « الطرائق التي تقرّب بين العناصر المتباينة بدءا وفي الأصل، وتتيح إقامة ضرب من التضامن بينها لغاية هيكلتها؛ أي إبرازها في هيكل أو بنية واضحة أو لغاية تقويم أحد هذه العناصر بواسطة الآخر تقويما إيجابيا أو سلبيا »[3]. ومن الأشكال الاتصالية **الحجج الشبه منطقية** Arguments

---

(1)
(2)
(3)

quasi-logique، **والحجج المؤسسة على بنية الواقع** Arguments basés sur la structure du réel، **والحجج المؤسسة لبنية الواقع** Arguments qui fondent la structure du réel.

أ.1. **الحجج الشبه منطقية**: وهي حجج تستمد قوتها الإقناعية من مشابهتها للحجج الشكلية والمنطقية والرياضية القائمة على البرهان، غير أنها تكون قابلة للاعتراض والدحض، شأنها في ذلك شأن الحجاج، من حيث هي جزء منه، غير أنها تبقى تعتمد الشكل البنوي للمنطق، مثل **التناقض وعدم الاتفاق، وحجج التماثل التام أوالجزئي، والحجج القائمة على العلاقة التبادلية**، كما تعتمد على أشكال رياضية من مثل **حجة التعدية، علاقة الجزء بالكل، وعلاقة الأصغر بالأكبر.**

* **التناقض وعدم الاتفاق**: إنّ التناقض لا يعني عدم الاتفاق أو التعارض، وإن كان كلاهما وصل بين شيئين متنافرين؛ من حيث إنّ التناقض هو اجتماع قضيتين إحداهما نفيٌ للأخرى ونقض لها، وذلك مثل ذكر الحدث ونفيه، كأن تقول: الخطيب تكلّم طويلا ولم يتكلّم، أمّا عدم الاتفاق أو التعارض فهو الأكثر توظيفا في الحجاج، وهو أنْ « يدفع الحجاج أطروحة ما مبيّنا أنها لا تتفق مع أخرى »[1]، والقصد من ذلك طرح أطروحة ما وتكريس أخرى انطلاقا من مقابلتهما بالمقام المتصل بهما، يقول عبد صولة مفرقا بينهما: « التناقض يحدث داخل النظام الواحد المُشكلن، أمّا التعارض فيحدث في علاقة الملافيظ بالمقام ... »[2]، ومثال عدم الاتفاق أو التعارض قول النابغة الذبياني؛ حين حاجج بعدم اتفاق أمر ادعاء حبّ الله وأمر معصيته:

تعصي الإلهَ، وأنت تظهر حبّه *** هذا لعمرُك في المقال بديعُ [3]

فهذا القانون (التناقض وعدم الاتفاق) يميط اللثام عن التعارض في أطروحات الخصم قصد الوصول إلى إذعانه، أو إقناع الجمهور بوقوع الخصم في تناقض وتعارض يُذهب بأطروحته إلى مهاوي الدحض، والهزء به وبأطروحته؛ كون الهزء من أمضى أسلحة الحجاج.

* **حجج التماثل التام أو الجزئي:** والمقصود به التماثل اللفظي التام بين لفظين، مع اختلافهما في المعنى، ويُستعمل التماثل في التعاريف والحدود أكثر ما يستعمل، ويكون اللفظ الأول معرَّفا، والثاني معرِّفا، وليس المعرِّف هو المُعرَّف على وجه الحقيقة، لذلك صُنّف هذا القانون في الحجاج شبه المنطقي، ومثاله: « كأن يقول أحدنا: "الدنيا هي الدنيا" مقدّما بذلك تعريفا يفتقر إلى الصرامة المنطقية، وإلى وضوح طرفيه، فالدنيا قد تفهم على أنها الحياة بناسها ومتعها وملذاتها ومشاكلها وأحداثها، كما قد تحيل على الخداع والإغراء والفتنة ...

(1)
(2)
(3)

»[4].ومن أمثلتها قولك: الرجل رجلٌ/ والمرأة تبقى دائما امرأة...، والملاحظ على هذه الأمثلة وغيرها أنّ « أحد ركنيها أو لفظيهما وَرَدَ على الحقيقة، والآخر على وجه المجاز»[5].

* **الحجج القائمة على العلاقة التبادلية**: وتعني تماثل وضعيتين، ويقضي التعامل معهما بالكيفية نفسها وفق قاعدة العدل، غير أنها ليس من المنطقية التي تضع الوضعيتين في التماثل التام، بل في التماثل الشبه منطقي، وهو ما يفضي حجاجيا بعلاقة التبادل بين الوضيعتين وفق قاعدة العدل، كما في قول زهير بن أبي سلمى:

ومن يغتربْ يحسبْ عدوًا صديقه *** ومن لا يكرِّم نفسَه لا يُكرَّم [1]

فالشطر الثاني فيه حجاج شبه منطقي (ومن لا يكرِّم نفسَه لا يُكرَّم)؛ إذ فيه علاقة تبادلية، مفادها من هانت عليه نفسه في ذاته، فلا يطلب كرامةً لدى الآخرين، وهي علاقة قابلة للدحض حين الحجاج، كأن يردّ الخصم بمعرفته لرجلٍ هانت عليه نفسه، وهو مع ذلك يتمتع بتكريم الناس له. ومن أمثلة هذا النوع من الدارج على الألسن (حلال عليكم حرام علينا).

* **حجّة التعدية**: المعلوم من علاقة التعدية الرياضية والمنطقية أنّه إذا كانت (أ و ب) على علاقة، وأنّ (ب و ج) على علاقة، فإنّ هذا يُحدث تعديةً إلى علاقة (أ و ج)، وتتجلى التعدية في علاقاتٍ شبهِ منطقيةٍ كثيرةٍ منها: الضمني والاشتمال والتساوي أو التفوق ...، ومن أمثلتها: (عدوّ عدوّي صديقي) و(صديق عدوّي عدوّي)...، وكما ترى فهذه الحجة على منطقيتها إلا أنّها تُدحض ويُعترض عليها بشواهد الواقع والتجارب.

أ.2.الحجج المؤسسة على بنية الواقع: إذا كانت الحجج الشبه منطقية تستمد مشرعيتها وقوة صحتها من بعدها العقلاني المتمثل فيما هو منطقي ورياضي، فإنّ الحجج المؤسسة على بنية الواقع تستثمر الحجج الشبه منطقية في الربط بين ما هو مسلّم به، وبين أحكام يسعى الخطيب إلى تأسيسها وتثبيتها وجعلها مسلّما بها، وعليه فهذه الآلية في تقنية الاتصال تسعى إلى الربط بين ما هو مسلّم به، وبين ما هو غير مسلّم به في صعيدٍ جامعٍ بينهما، بحيث تصبح في اتصال لا يمكن التسليم فيه بأحدها دون التسليم بالآخر[2].

وتنقسم هذه الحجج المؤسسة على بنية الوقع إلى نوعين: **نوع الاتصال التتابعي**، وهو الاتصال الذي تُربط فيه الأسباب بنتائجها، وتتجسد في التتابع عن طريق اتصال (**السببي، والتبذير، والاتجاه**)، **ونوع الاتصال التواجدي**، وهو الاتصال الذي يُربط فيه الجوهر مع تجلياته، ويتجسد في وجوه (**الشخص وعمله، والشخص والسلطة**).

(4)
(5)
(1)
(2)

♦ أمّا عن الاتصال التتابعي: فيظهر في:

- **الوصل السببي**: وهو اتصال بين السبب ونتيجته، وفق حجاج قابل للاعتراض والدّحض وإن قويت حجيته الشبه منطقية الرابطة، ومن أمثلته: اجتهد فنجح، فالاجتهاد وُصِلَ مع النجاح وصْلَ سببٍ بنتيجة وصْلَ تتابع (اجتهاد - نجاح)، وقد تكون هذه الحجة الوصلية بوضع معكوس؛ بأن تصل النتيجة بسببها، من مثل: نجح لأنه اجتهد، ويسمي بيرلمان هذا النوع من الحجج الوصلية بالبراغماتية[1]، ولهذه الحجة التأثير المباشر في توجيه سلوك المخاطب، عن طريق التثمين.
- **حجة التبذير**: وهي اتصال تتابعي بين الأحداث لقصد غائي، وهي حجة تستثمر في مواصلة الحدث، حتى لا يكون تعليق العمل سببا في تبذير وتبديد الجهد والتكلفة فيما مضى من عمل، ومثالها « أن نقول حسب بيرلمان: بما أننا شرعنا في إنجاز هذا العمل وضحينا في سبيله، بما لو أعرضنا عن إتمامه لكان مضيعة للوقت للمال وللجهد، فإنه علينا أن نواصل إنجازه »[2].
- **حجة الاتجاه**: وهي اتصال تتابعي، وتستعمل أكثر في سياق التحذير من مغبة المواصلة في اتجاه التنازلات المُفضية إلى خسائر جسيمة، وهي حجة تدعو إلى اليقظة والتوقف عن سياسة التنازلات، كأن تقول لأب يعطي لابنه ثمن السجائر: لو أنّك تواصل في هذا الاتجاه، سيتحول ابنك من التدخين إلى تعاطي ممنوعات أخرى، وتستعمل هذه الحجة في التحذير من انتشار أمر ضار أو انتقال عدوى معينة، كأن نقول: تجاهل حبة بطاطا فاسدة في كيس ستفسد الكيس كلّه.

♦ أمّا عن الاتصال التواجدي: فيظهر في:

- **حجة الشخص وعمله**: وهي حجة تواجدية لا تتابعية، من حيث إنّ العمل مرتبط وجوديا بالشخص من خلال خطابه، « ومعرفة الشخص سياق يعين على فهم عمله، وعلى إمكان تقويمه »[3]، وعلم الأخلاق والقضاء يستندان على ثنائية (الشخص وعمله)، ولا فكاك بينهما بحال، « وهما [علم الأخلاق والقضاء] إذ يحكمان على الشخص دون أعماله فإنهما يحكمان عليه في ضوء أعماله فهي جزء منه لا يتجزأ. وهكذا فإن الشخص هو مجمل المعلوم من أعماله ... »[4]، وعليه فالتتابع في هذا الموضع هو تتابع الجوهر مع تجلياته تتابعا وجوديا، ومثالها كأن نقول: إنّ من يضرب أباه العجوز، ويرميه في دار العجزة لا يمكن أن يكون إلّا

(1)
(2)
(3)
(4)

عاقًّا، (فالعقوق هو جوهر هذا الإنسان، وأعماله التي تنسجم مع هذا الجوهر: الضرب والرمي في دار العجزة).

- **حجة الشخص والسلطة**: وهي اتصال تواجدي بين الشخص والنفوذ السلطوي الذي يتملّكه، اتصالا وجوديا لا تتابعيا، وهي حجة تستمد قوتها الإقناعية من علاقة الشخص بسلطته المؤثرة، فوعد الشرف مثلا يتوقف على ما للواعد من سلطة في عيون الناس، فمن كان ذا رياسة يكون وعده أكثر حجيّة وإقناعا من الشخص العادي. والسلطة تختلف « فقد تكون (الإجماع) أو (الرأي العام) أو (العلماء) أو (الفلاسفة) أو (الكهنوت) أو (الأنبياء)، وقد تكون هذه السلط غير شخصية مثل (الفيزياء) أو (العقيدة) أو (الدين) أو(الكتاب المقدّس) ...»[1] ، وقد تكون السلطة في أسماء أناس معيّنين اعترف لهم الناس بسلطتهم تلك.

أ.3.الحجج المؤسسة لبنية الواقع: وهي حجج اتصالية لا تؤسس على بنية الواقع، بل هي التي تؤسس واقعا وتبنيه، « أو على الأقل تكمّله وتظهر ما خفي من علاقات بين أشيائه، أو تجلي ما لم يتوقع من هذه العلاقات، وما لم ينتظر من صلات بين عناصره ومكوّناته »[2]، وتتحدّد الحجج المؤسسة على بنية الواقع في تقنيتين في الاستدلال: تقنية استدلال تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة، وتقنية الاستدلال بواسطة التمثيل، أمّا الحجج المؤسسة لبنية الواقع بواسطة الحالات الخاصة فمنها **المثل** الذي يؤتى في المحاججات التي ترد دون مقدمات، والتي تقتضي وجود خلافات، وهو حجاج يتيح المرور من حالة خاصة إلى حالة خاصة أيضا، وعند تواتر هذا المثل فإنه يتحوّل إلى قاعدة[3]، ومن هذه القاعدة يتمّ الانطلاق لبناء الواقع جديد عليها، والمثال المتواتر في هذا المضمار هو المستند إلى القصة التي رواها أرسطو في ثلاثية (الملك/ طلب حرس خاص/ الطغيان)، ويمكن استغلال هذه القصة على نحو الانطلاق من حالة خاصة (زيد الملك أصبح طاغية لأنه طلب حرسا خاصا)، إلى حالة خاصة أخرى (ثمة ملكان سابقان طلبا حرسا خاصا فأصبحا طاغيتين)، وانطلاقا من هذين الحالتين الخاصتين تُبنى قاعدة وواقع جديد (طلب الملوك حرسا خاصا علامة على الطغيان). أمّا الاستدلال بواسطة **التمثيل** فتكون بإبراز تشابه العلاقات، وهو ما يعبّر عنه في البلاغة العربية بالتشبيه التمثيلي، كما في قول الله تعالى: ﴿ **مثلُ الذينَ اتخذوا من دونِ الله أولياءَ كَمَثَلِ العنكبوتِ اتخذتْ بيتًا وإنّ أوهنَ البيوتِ لبيتُ العنكبوتِ لو كانوا يعلمون** ﴾ [العنكبوت/41]؛ حيث هناك: (أ) المشركون/ (ب) أولياؤهم/ (ج) العنكبوت/ (د) بيتها، فالعلاقة بين العناصر ليست تشابه عناصر بل تشابه علاقات؛ وذلك أنّ علاقة (أ.ب) تشبه علاقة (ج.د)؛ أي أنّ علاقة المشركين بأوليائهم تشبه علاقة العنكبوت ببيته، على أنّ العلاقة الأولى هي الموضوع، والعلاقة الثانية هي المحمول[4].

(1)
(2)
(3)
(4)

ب. **طرائق الفصل أو الانفصال** Procédés de dissociation:

وهي تقنية حجاجية تقوم على الفصل بين أجزاء المشكّلة عادةً كُلاً لا يتجزّأ، « إنّ الانفصال بين العناصر في الحجاج يقتضي وجود وحدة بينها، ومفهوم واحد لها ... وإنما وقع الفصل بينها لأسباب دعا إليها الحجاج »[1]، ويكون هذا الفصل من أجل التمييز بين الثنائي (الظاهر/ الواقع أو الحقيقة) قصد بيان ما هو حقيقي عن ما هو زائف، بالاعتماد على هذه الثنائية أو الزوج الذي تقوم به التقنية الحجاجية الانفصالية، وتظهر هذه التقنية خاصة في التعريفات Les définitions قصدَ فصلِ ما هو من جوهر المعرَّف عن ما هو ظاهري، وتستخدم هذه التقنية أدوات الربط والوصل والعطف النحوية، كما تستخدم الجمل الاعتراضية التي تحمل - عادةً- أفكارا مؤكّدة أو ناقضة لما قبلها أو ما بعدها، كما في قولنا: إنّ هذا البطل – إن صحّ أنّه بطلٌ - ...، وتستعمل فيما تستعمل أفعالا مشهورة من قبيل (يتوهم، يزعم، يظن، يخال، يشكّ ...)؛ كما في قولنا: فلانٌ يخاف المواجهة الحاسمة مع الخصوم، ويزعم أنّه بطل، والغاية من هذه الآليات التقنية الفاصلة إسقاط أحد العنصرين المفصولين، والتأكيد على الباقي منهما[2].

ومدار الغاية من تقنيتي الوصل والفصل لبيرلمان وتيتيكا هو ربط الغايات الحجاجية بالوسائل اللغوية والمنطقية والبلاغية، وتوطيد العلاقة بين الخطاب والمقام الذي يرد فيه، وإن كانت نظرية البلاغة الجديدة يعوزها التركيز على عديد العناصر التداولية والتواصلية، ولكن يكفيها أنها ردّت « الاعتبار الفلسفي لكلمة (البلاغة)، وإسهامها في العودة إلى إثارة قضاياها الجوهرية من منظور أفاد من تطور معطيات المنطق الحديث وشارف أفق علوم الاتصال الجديدة »[3].

(1)
(2)
(3)